القواعد النبوية

في معالجة مشكلة الإدمان عند الشباب

إعداد

الأستاذ الدكتور

إبراهيم السعيد إبراهيم خليل

أستاذ ورئيس قسم الحديث وعلومه

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بكفر الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومَنْ اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

أما بعد ،،،،،،،

فقد اهتم الإسلام بالشباب أيما اهتمام، وأولاهم عناية فائقة، ولا عجب من ذلك؛ فهم طاقة الحاضر، وأمل المستقبل، وعماد الأمة، من ثم ينبغي توجيههم، وإزالة كل ما يترصد طريقهم من عوائق تحول دون استقامتهم، والاستفادة من طاقاتهم، ويجعلهم أعلى الناس همة، ولما كان الهدي النبوي هو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وعموده الذي قام عليه أساس الدين، فقد أولت السنة النبوية المطهرة الشباب منزلة تعجز عن حدها العبارات، وتقعد عن وصفها الكلمات، ومن مظاهر هذه العناية: أن وضعت السنة المطهرة السبل، والقواعد لحل مشاكلهم، وما يطرأ عليهم من عوامل داخلية، وخارجية من شأنها أن توقعهم في مهاوي الردى .

وقد تجلت هذه القواعد في أمرين رئيسين :

الأول : يرجع إلى أصل الفطرة النقية، والقوة الذاتية الكامنة في نفس الشاب المسلم، ومحاولة إيقاظ هذه الطاقة، والاستفادة منها بتوظيفها في مقاومة ما ألم بشبابنا من مخالفات شرعية آثمة، وعادات منحرفة مدمرة .

الثاني : مقاومة العوامل المؤثرة على سلوك الشباب المسلم التي أدت إلى انجرافهم نحو الرزيلة، وانخراطهم في سبل التردي، كمصاحبة قرناء السوء البعيدين عن شرع الله تعالى، والداعين إلى سبل الشيطان.

من ثَمَّ وجدت من المناسب إعداد بحث يتعرض لأولى مشاكل الشباب الحياتية، وأصعب عاداتهم السلبية، وقد جعلت عنوانه : (القواعد النبوية في معالجة مشكلة الإدمان عند الشباب).

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث تقسيمه إلى: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، ثم ثبت المصادر، والمراجع التي أفاد منها.

أما المقدمة: فقد ضمنتها مدخلا للموضوع، وخطة البحث فيه.

وأمـــا المبحـــث الأول: فبعنـوان تـذكير الشـباب بسـابق فطـرتهم، والإيمان بربهم.

وفيه أربعة قواعد:

القاعدة الأول: الهداية منة من الله تعالى للإقلاع عن الإدمان.

القاعدة الثاني: الإيمان الصحيح بكتابة القدر.

القاعـــدة الثالـــث: الإرادة القويـة، والنيـة الخالصـة لله سـر تـرك الإدمان.

القاعدة الرابع: المجاهدة بإخلاص سبيل الهداية .

وأمـا المبحـث الثـاني: فعنوانـه بـث الأمـل فـي نفوس الشباب للعودة إلى الله تعالى.

وفيه ثلاثة قواعد:

القاعـــدة الأول: تـرك المحرمـات –الإدمـان– داخـل تحـت اسـتطاعة العبد.

القاعدة الثاني: الصحبة الصالحة منفعة في الدنيا والآخرة .

القاعدة الثالث: الدين يحرم ما كان ضرره كاملا أو راجحا .

وأما الخاتمة: فقد ضمنتها أهم النتائج، ثم ذيلته بثبت المصادر، والمراجع.

المبحث الأول

تذكير الشباب بسابق فطرتهم والإيمان بربهم

وفيه أربعة قواعد:

القاعدة الأول: الهداية منة من الله تعالى للإقلاع عن الإدمان.

القاعدة الثاني: الإيمان الصحيح بكتابة القدر.

القاعـــــدة الثالـــــث: الإرادة القويــة، والنيــة الخالصــة لله ســر تــرك الإدمان.

القاعدة الرابع: المجاهدة بإخلاص سبيل الهداية.

القاعدة الأول

الهداية منة من الله تعالى للإقلاع عن الإدمان

أخرج الإمام البخاري – رحمه الله – من حديث المسيب بن حزن قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال: " أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله " فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه [ص:١١٣]، ويعيدانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله: {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين} [التوبة: ١١٣] وأنزل الله في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} [القصص: ٥٦] " [١] .

قال الإمام ابن كثير : " يقول تعالى لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه: إنك يا محمد {لا تهدي من أحببت} أي: ليس إليك ذلك، إنما عليك البلاغ، والله يهدي من يشاء، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، كما قال تعالى: {ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء} [البقرة: ٢٧٢] ، وقال: {وما أكثر الناس ولو

---

١ صحيح متفق عليه : أخرجه البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله : (إنك لا تهدي من أحببت ...)، برقم (٤٧٧٢) : ٦ / ١١٢ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله ، برقم (٢٤) : ١ / ٥٤ .

حرصت بمؤمنين} [يوسف: ١٠٣] . وهذه الآية أخص من هذا كله؛ فإنه قال: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين} أي: هو أعلم بمن يستحق الهداية بمن يستحق الغواية، وقد ثبت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب عم رسول الله ﷺ، وقد كان يحوطه وينصره، ويقوم في صفه ويحبه حبا شديدا طبعيا لا شرعيا، فلما حضرته الوفاة وحان أجله، دعاه رسول الله ﷺ إلى الإيمان والدخول في الإسلام، فسبق القدر فيه، واختطف من يده، فاستمر على ما كان عليه من الكفر، ولله الحكمة التامة " [١] .

قال القسطلاني : " ولا ننافي بين هذه الآية وبين قوله: {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم} [الشورى: ٥٢] لأن الذي أثبته وأضافه إليه الدعوة والذي نفى عنه هداية التوفيق وشرح الصدر " [٢] .

وقال ابن بطال في باب(وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) [الأعراف: ٤٣] و(لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِى لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) [الزمر: ٥٧]، فيه: الْبَرَاء، رَأَيْتُ النَّبِىَّ (ﷺ) يَوْمَ الْخَنْدَقِ، وَهُوَ يَقُولُ: (وَاللَّهِ لَوْلا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلا صُمْنَا وَلا صَلَّيْنَا) . فى هاتين الآيتين وفى الحديث نص أن الله تعالى انفرد بخلق الهدى والضلال، وإنما قدر العباد على اكتساب ما أراد منهم اكتسابهم له من إيمان أو كفر، وأن ذلك ليس بخلق للعباد كما زعمت القدرية " [٣] .

---

١ تفسير ابن كثير : ٢٤٦/٦.

٢ إرشاد الساري، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أب يطالب، برقم (٣٨٨٤): ٢٠١/٦ .

٣ شرح ابن بطال ، كتاب التعبير ، باب (وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) [الأعراف: ٤٣] و(لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِى لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) [الزمر:٥٧]، برقم (٢٥) : ٣٢٦/١٠ وما بعدها

فتمهد مما سبق: أن الهداية بيدي الله تعالى وحده، لا دخل لأحد فيها، وإلا لتمكن النبي من هداية عمه؛ لتوفر دواعيها، ولتمكن من هداية قومه ولم تذهب نفسه عليهم حسرات، مما يؤكد ضرورة الالتجاء إليه سبحانه، والاعتماد عليه ﷻ، والثقة بقدرته، وملازمة التضرع إليه.

ومما لا شك فيه أن أحوج الناس إلى ذلك: مَنْ ابتلي في نفسه، وماله، وخلقه؛ فسقط في أيدي مَنْ لا خلاق له، ولا ضمير لديه؛ فاستنزف قوته: المادية، والعقلية، والبدنية؛ بأن أسره تحت وطأة المخدرات؛ فأدمنها، فهذه القاعدة الشرعية هي أولى القواعد التي قعدتها الشريعة الغراء؛ لأخذ بيد الساقطين في مدارك أصحاب هذه التجارات، وعصابات ترويج المسكرات.

هذا : وطلب الهداية واجب شرعي على كل مسلم تجاه مَنْ ابتلي بهذا الداء، وسقط في مهاوي هذا الوباء، وكان هينا على هؤلاء الضعفاء، الذين باعوا دينهم مستحلين أموال، وأنفس أولئك الشباب الأبرياء، وليعلم كل داع، ومبتهل إلى الله عز وجل أن ينجيهم، ويأخذ بأيديهم إلى طريق الهدى والرشاد أن أجره عظيم، وعطاء الله تعالى جزيل، يدل على ذلك قول النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: " فو الله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم» [١] .

---

١ جزء من حديث صحيح متفق عليه : أخرجه البخاري – واللفظ له – : كتاب الجهاد والسير ، باب دعاء النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى الإسلام ، من حديث سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه، برقم (٢٩٤٢) : ٤ / ٤٧ . ومسلم : كتاب الفضائل ، باب فضائل علي رضي الله تعالى عنه ، برقم (٢٤٠٦) : ١٨٧٢/٤ .

القاعدة الثاني

الإيمان الصحيح بكتابة القدر

عن عمران بن حصين، قال: قال رجل: يا رسول الله، أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: «نعم» قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: " كل يعمل لما خلق له، أو: لما يسر له " [1] .

وعنه – أيضا – ، " قال: قيل: يا رسول الله أعلم أهل الجنة من أهل النار؟ قال: فقال: نعم، قال قيل: ففيم يعمل العاملون؟ قال: «كل ميسر لما خلق له»[2] .

" وعن علي، قال: كان رسول الله ﷺ، ذات يوم جالسا وفي يده عود ينكت به، فرفع رأسه فقال: «ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار» قالوا: يا رسول الله فلم نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال: «لا، اعملوا، فكل ميسر لما خلق له» ثم قرأ: {فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى} [الليل: ٦]، إلى قوله {فسنيسره للعسرى} [الليل: ١٠] " [3]

---

١ صحيح متفق عليه : أخرجه البخاري – واللفظ له – : كتاب القدر ، باب جف القلم على علم الله ، برقم (٦٥٩٦) : ٨ / ١٢٢ . ومسلم : كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي ، برقم (٢٦٤٨) : ٤ / ٢٠٤٠ .

٢ صحيح متفق عليه : أخرجه البخاري : كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (ولقد يسرنا القرآن للذكر...)، برقم (٧٥٥١) : ١٥٩/٩. ومسلم – واللفظ له – : كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي، برقم (٢٦٤٩) : ٢٠٤١/٤.

٣ صحيح : أخرجه مسلم ، كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي ، برقم (٢٦٤٧) : ٤ / ٢٠٤٠ .

قال القسطلاني شارحا : (يا رسول الله أيعرف) بفتح الهمزة، وضم التحتية، وفتح الراء . (أهل الجنة من أهل النار)، أي: أيميز، ويفرق بينهما بحسب قضاء الله تعالى، وقدره (قال) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (نعم قال) عمران: يا رسول الله (فلم يعمل العاملون)، أي: إذا سبق القلم بذلك؛ فلا يحتاج العامل إلى العمل؛ لأنه سيصير إلى ما قدر له (قال) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كل يعمل لما) للذي (خلق له): بضم الخاء، وكسر اللام (ولما): بالواو المفتوحة، وفي الفتح أو لما (يسر له): بضم أوله، وكسر السين المهملة المشددة، ولأبي ذر عن الحموي والمستملي: ييسر له بتحتيتين وفتح السين، فعلى المكلف أن يدأب في الأعمال الصالحة؛ فإن عمله أمارة إلى ما يؤول إليه أمره غالبًا، وربك يفعل ما يشاء، فالعبد ملكه يتصرف فيه بما شاء، لا يُسأل عما يفعل، لا إله إلا هو، عليه توكلت، وبوجهه الكريم أستجير من عذابه الأليم، وأسأله جنات النعيم؛ إنه الجواد الرحيم " [١] .

و" عن علي، قال: كان رسول الله ﷺ، ذات يوم جالسا وفي يده عود ينكت به، فرفع رأسه فقال: «ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار» قالوا: يا رسول الله فلم نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال: «لا، اعملوا، فكل ميسر لما خلق له» ثم قرأ: {فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى} [الليل: ٦]، إلى قوله {فسنيسره للعسرى} [الليل: ١٠] " [٢] .

---

١ شرح القسطلاني : كتاب القدر ،باب جف القلم على علم الله ، برقم (٦٥٩٦) : ٣٤٧/٩ .

٢ صحيح متفق عليه : أخرجه البخاري : كتاب تفسير القرآن ، باب (فسنيسره لليسرى...) ، برقم (٤٩٤٦) : ١٧٠/٦. ومسلم – واللفظ له – : كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي ، برقم (٢٦٤٧) : ٢٠٤٠/٤.

قوله : " (فأخذ عودًا فجعل ينكت) بضم الكاف بعدها مثناة فوقية: يضرب به (في الأرض فقال): (ما منكم من أحد إلا كتب) بضم الكاف، أي: قدّر في الأزل (مقعده من الجنة أو من النار) من بيانية (قالوا): (ألا نتّكل) أي: نعتمد زاد في الجنائز على كتابنا، وندع العمل (قال: اعملوا) صالحًا (فكلٌّ ميسر)، أي: لما خلق له، ثم قرأ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {فأما من أعطى واتقى} [الليل: ٥] الآية " [1].

قال الإمام النووي: " وفي هذه الأحاديث كلها دلالات ظاهرة لمذهب أهل السنة في إثبات القدر، وأن جميع الواقعات بقضاء الله تعالى وقدره خيرها وشرها نفعها وضرها ، وهو سبحانه وتعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسألون، فهو ملك لله تعالى يفعل ما يشاء، ولا اعتراض على المالك في ملكه، ولأن الله تعالى لا علة لأفعاله . قال الإمام أبو المظفر السمعاني: سبيل معرفة هذا الباب: التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس ومجرد العقول، فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة ولم يبلغ شفاء النفس ولا يصل إلى ما يطمئن به القلب؛ لأن القدر سر من أسرار الله تعالى التي ضربت من دونها الأستار اختص الله به وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة، وواجبنا أن نقف حيث حد لنا ولا نتجاوزه، وقد طوى الله تعالى علم القدر على العالم فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب. وقيل: إن سر القدر ينكشف

---

١ شرح القسطلاني : كتاب التوحيد ، باب قول الله تعال : (بل هو قرآن مجيد...)، برقم (٧٥٥١) : ١٠/٤٦٩ .

لهم إذا دخلوا الجنة، ولا ينكشف قبل دخولها والله أعلم . وفي هذه الأحاديث: النهي عن ترك العمل والاتكال على ما سبق به القدر بل تجب الأعمال والتكاليف التي ورد الشرع بها وكل ميسر لما خلق له لا يقدر على غيره ومن كان من أهل السعادة يسره الله لعمل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة يسره الله " ١ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (احْتَجَّ آدَمُ ومُوسَى) فَقَالَ لهُ مُوسَى: يَا آدَمُ {أَنْتَ أَبُونا خَيَّبْتَنا وأَخْرَجْتَنا مِنَ الجَنَّة، قَالَ لهُ آدَمُ: يَا مُوسَى} اصْطَفَاكَ الله بكَلاَمِهِ وخَطّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ الله عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بأَرْبَعِينَ سَنَة؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوَسَى، فحَجَّ آدَمُ مُوسَى) ثَلاَثا " ٢ .

" قَوْله: (احْتج) أَي: تحاج وتناظر، وَفِي رِوَايَة همام وَمَالك: تحاج، كَمَا فِي التَّرْجَمَة، وَهِي أوضح، وَفِي رِوَايَة أَيُّوب عِنْد البُخَارِيّ وَيحيى بن آدم: حج آدم مُوسَى وَعَلَيْهِمَا (شرح الطِّيبِيّ) فَقَالَ: معنى قَوْله: (حج آدم مُوسَى) غَلبه بِالْحجَّةِ. وَقَوله: بعد ذَلِك (قَالَ مُوسَى: يَا آدم أَنْت) إِلَى آخِره، توضيح لذَلِك وَتَفْسِير لما أجمل. وَقَوله فِي آخِره (فحج آدم ومُوسَى) تَقْرِير لما سبق وتأكيد لَهُ. قَوْله: (أَنْت أَبونَا) وَفِي رِوَايَة ابْن أبي كثير: أَنْت أَبُو النَّاس، وَفِي رِوَايَة الشّعبِيّ: أَنْت آدم أَبُو الْبشر. قَوْله: (خيبتنا) أَي: أوقعتنا فِي الخيبة وَهِي الحرمان. قَوْله: (وأخرجتنا من الْجنَّة) وَهِي دَار الْجَزَاء فِي الْآخِرَة وَهِي مخلوقة قبل آدم. قَوْله: (وَخط لَك بِيَدِهِ) من

١ شرح النووي : ١٦ / ١٩٥ وما بعدها .

٢ صحيح : أخرجه البخاري : كتاب القدر ، باب تحاج آدم وموسى عند الله ، برقم (٦٦١٤) : ٨ / ١٢٦ .

المتشابهات فإمَّا أَن يُفَوض إِلَى الله تَعَالَى، وَإِمَّا أَن يؤول بِالْقُدْرَةِ، وَالْغَرَض مِنْهُ كِتَابَة أَلْوَاح التَّوْرَاة. قَوْله: (على أَمر قدره الله) ويروى: قدر الله، بِدُونِ الضَّمِير، وَهِي رِوَايَة السَّرخسِيّ وَالْمُسْتَمْلِي، وَالْمرَاد بالتقدير هُنَا الْكِتَابَة فِي اللَّوْح الْمَحْفُوظ أَو فِي صحف التَّوْرَاة، وإِلاَّ فتقدير الله أزلي. قَوْله: (بِأَرْبَعِينَ سنة) قَالَ ابْن التِّين: يحْتَمل أَن يكون المُرَاد بالأربعين سنة مَا بَين قَوْله تَعَالَى: {إِنِّي جَاعل فِي الأَرْض خَليفَة} (الْبَقَرَة: ٣٠) إِلَى نفخ الرّوح فِي آدم، وَقيل: ابْتِدَاء الْمدَّة وَقت الْكِتَابَة فِي الألواح وَآخِرهَا ابْتِدَاء خلق آدم. وَقَالَ ابْن الْجَوْزِيّ: المعلومات كلهَا قد أَحَاط بهَا علم الله الْقَدِيم قبل وجود الْمَخْلُوقَات كلهَا. وَلَكِن كتَابَتهَا وَقعت فِي أَوْقَات مُتَفَاوِتَة، وَقد ثَبت فِي (صَحِيح مُسلم) : إِن الله قدر الْمَقَادِير قبل أَن يخلق السَّمَوَات وَالْأَرْض بِخَمْسِينَ ألف سنة، فَيجوز أَن تكون قصَّة آدم بخصوصها كتبت قبل خلقه بِأَرْبَعِينَ سنة، وَيجوز أَن يكون ذَلِك الْقدر مُدَّة لبثه طيناً إِلَى أَن نفخت فِيهِ الرّوح، فقد ثَبت فِي (صَحِيح مُسلم) : أَن بَين تَصْوِيره طيناً وَنفخ الرّوح فِيهِ كَانَ مُدَّة أَرْبَعِينَ سنة، وَلَا يُخَالف ذَلِك كِتَابَة الْمَقَادِير عُمُوما قبل خلق السَّمَوَات وَالْأَرْض بِخَمْسِينَ ألف سنة. فَإِن قلت: وَقع فِي حَدِيث أبي سعيد الْخُدْرِيّ رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ: أتلومني على أَمر قدره لله عَليّ قبل أَن يخلق السَّمَوَات وَالْأَرْض؟ .

قلت: تحمل مُدَّة الْأَرْبَعين سنة على مَا يتَعَلَّق بِالْكِتَابَةِ، وَيحمل الآخر على مَا يتَعَلَّق بِالْعلمِ. قَوْله: (فحج آدم مُوسَى) ، آدم مَرْفُوع بِلَا خلاف وشذ بعض النَّاس فقرأه بِالنّصب على أَن آدم الْمَفْعُول ومُوسَى فِي مَحل الرّفْع على أَنه الْفَاعِل، وَقد روى أَحْمد

من رِوَايَة الزُّهْرِيّ عَن أبي سَلمَة عَن أبي هُرَيْرَة بِلَفْظ: (فحجه آدم) ، وَهَذَا يقطع الْإِشْكَال فَإِن رُوَاته أَئِمَّة حفاظ، وَالزهْرِيّ من كبار الْفُقَهَاء الْحفاظ، وَمعنى: فحج أَي: غَلبه بِالْحجَّةِ، يُقَال: حاججت فلَانا فحججته مثل خاصمته فَخَصمته، وَقَالَ الْخطابِيّ: إِنَّا حجه آدم فِي رفع اللوم إِذْ لَيْسَ لأحد من الْآدَمِيّين أَن يلوم أحدا بِهِ. وَقَالَ النَّوَوِيّ: مَعْنَاهُ أَنَّك تعلم أَنه مُقَدّر فَلَا تلمني، وَأَيْضًا اللوم شَرْعِي لَا عَقْلِي، وَإِذا تَابَ الله عَلَيْهِ وَغفر لَهُ ذَنبه زَالَ عَنهُ اللوم فَمن لامه كَانَ محجوجا. قَوْله: (ثَلَاثًا) أَي قَالَ: حج آدم مُوسَى ثَلَاث مَرَّات، وَفِي حَدِيث رَوَاهُ عَمْرو بن أبي عَمْرو عَن الْأَعْرَج. (لقد حج آدم مُوسَى، لقد حج آدم مُوسَى، لقد آدم حج مُوسَى) .

فَإِن قلت: مَتى كَانَ ملاقاة آدم ومُوسَى؟ .

قلت: قيل يحْتَمل أَن يكون فِي زمن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام، وَأَحْيَا الله لَهُ آدم معْجزَة لَهُ فَكَلمهُ أَو كشف لَهُ عَن قَبره فتحدثا، أَو أرَاهُ الله روحه كَمَا أرى النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، لَيْلَة الْمِعْرَاج أَرْوَاح الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِم السَّلَام، أَو أرَاهُ الله فِي الْمَنَام رُؤْيا، ورؤيا الْأَنْبِيَاء وَحي، أَو كَانَ ذَلِك بعد وَفَاة مُوسَى فَالْتَقَيَا فِي البرزخ أول مَا مَاتَ مُوسَى فالتقت أرواحهما فِي السَّمَاء، وَبِذَلِك جزم ابْن عبد الْبر والقابسي، أَو أَن ذَلِك لم يَقع، وَإِنَّمَا يَقع بعد فِي الْآخِرَة، وَالتَّعْبِير عَنهُ بِلَفْظ الْمَاضِي لِأَنَّهُ مُحَقّق الْوُقُوع فَكَأَنَّهُ قد وَقع. فَإِن قلت: لم خص مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام، بِالذكر؟ .

قلت: ليكونه أول نَبِي بعث بالتكاليف الشَّدِيدَة. فَإِن قلت: مَا وَجه وُقُوع الْغَلَبَة لآدَم، عَلَيْهِ السَّلَام؟ .

قلت: لِأَنَّهُ لَيْسَ لمخلوق أَن يلوم مخلوقاً فِي وُقُوع مَا قدر عَلَيْهِ إِلَّا بِإِذن من الله، فَيكون الشَّارِع هُوَ اللائم، فَلَمَّا أَخذ مُوسَى فِي لومه من غير أَن يُؤذن لَهُ فِي ذَلِك عَارضه بِالْقدرِ. فأسكنه، وَقيل: إِن الَّذِي فعله آدم اجْتمع فِيهِ الْقدر وَالْكَسْب وَالتَّوْبَة تمحو أثر الْكسْب، وَقد كَانَ الله تَابَ عَلَيْهِ فَلم يبْق إِلاَّ الْقدر، وَالْقدر لَا يتَوَجَّه عَلَيْهِ لوم فعل الله، وَلَا يسْأَل عَمَّا يفعل. وَقيل: إِن آدم أَب ومُوسَى ابْن وَلَيْسَ للِابْن أَن يلوم أَبَاهُ، حَكَاهُ الْقُرْطُبِيّ. فَإِن قلت: فالعاصي الْيَوْم لَو قَالَ: هَذِه الْمعْصِيَة قدرت عَليّ، فَيَنْبَغِي أَن يسْقط عَنهُ اللوم.

قلت: هُوَ بَاقٍ فِي دَار التَّكْلِيف، وَفِي لومه زجر لَهُ وَلغيره عَنْهَا، وَأما آدم فميت خَارج عَن هَذِه الدَّار، فَلم يكن فِي القَوْل فَائِدَة سوى التخجيل وَنَحْوه " ١ .

" وقال القرطبي: إنما غلبه بالحجة لأنه علم من التوراة أن الله تاب عليه فكان لومه له على ذلك نوع جفاء كما يقال ذكر الجفاء بعد حصول الصفاء جفاء ولأن أثر المخالفة بعد الصفح ينمحي حتى كأنه لم يكن فلا يصادف اللوم من اللائم حينئذ محلا انتهى وهو محصل ما أجاب به المازري وغيره من المحققين وهو المعتمد وقد أنكر القدرية هذا الحديث لأنه صريح في إثبات القدر السابق وتقرير النبي ﷺ لآدم على الاحتجاج به وشهادته بأنه غلب موسى فقالوا لا يصح لأن موسى لا يلوم على أمر قد تاب منه صاحبه وقد قتل هو نفسا لم يؤمر بقتلها ثم قال رب اغفر لي فغفر

١ عمدة القاري : ٢٣ / ١٥٨ وما بعدها بتصرف .

لـه فكيـف يلـوم آدم علـى أمـر قـد غفـر لـه ثانيهـا لـو سـاغ اللـوم علـى الـذنب بالقـدر الـذي فـرغ مـن كتابتـه علـى العبـد لا يصـح هـذا لكـان مـن عوتـب علـى معصـية قـد ارتكبهـا فيحـتج بالقـدر السـابق ولـو سـاغ ذلـك لانسـد بـاب القصـاص والحـدود واحـتج بـه كـل أحـد علـى مـا يرتكبـه مـن الفـواحش وهـذا يفضـي إلـى لـوازم قطعيـة فـدل ذلـك علـى أن هـذا الحـديث لا أصـل لـه والجـواب مـن أوجـه أحـدها أن آدم إنمـا احـتج بالقـدر علـى المعصـية لا المخالفـة فـإن محصـل لـوم موسـى إنمـا هـو علـى الإخـراج فكأنـه قـال أنـا لـم أخـرجكم وإنمـا أخـرجكم الـذي رتـب الإخـراج علـى الأكـل مـن الشـجرة والـذي رتـب ذلـك قـدره قبـل أن أخلـق فكيـف تلـومني علـى أمـر لـيس لـي فيـه نسـبة إلا الأكـل مـن الشـجرة والإخـراج المرتـب عليهـا لـيس مـن فعلـي قلـت وهـذا الجـواب لا يـدفع شـبهة الجبريـة ثانيهـا إنمـا حكـم النبـي ﷺ لآدم بالحجـة فـي معنـى خـاص وذلـك لأنـه لـو كانـت فـي المعنـى العـام لمـا تقـدم مـن الله تعـالى لومـه بقولـه ألـم أنهكمـا عـن تلكمـا الشـجرة ولا أخـذه بـذلك حتـى أخرجـه مـن الجنـة وأهبطـه إلـى الأرض ولكـن لمـا أخـذ موسـى فـي لومـه وقـدم قولـه لـه أنـت الـذي خلقـك الله بيـده وأنـت وأنـت لـم فعلـت كـذا عارضـه آدم بقولـه أنـت الـذي اصـطفاك الله وأنـت وأنـت وحاصـل جوابـه إذا كنـت بهـذه المنزلـة كيـف يخفـى عليـك أنـه لا محيـد مـن القـدر وإنمـا وقعـت الغلبـة لآدم مـن وجهـين أحـدهما أنـه لـيس لمخلـوق أن يلـوم مخلوقـا فـي وقـوع مـا قـدر عليـه إلا بـإذن مـن الله تعـالى فيكـون الشـارع هـو اللائـم فلمـا أخـذ موسـى فـي لومـه مـن غيـر أن يـؤذن لـه فـي ذلـك عارضـه بالقـدر فأسـكته . والثـاني أن الـذي فعلـه آدم اجتمـع فيـه القـدر والكسـب

والتوبة تمحو أثر الكسب وقد كان الله تاب عليه فلم يبق إلا القدر والقدر لا يتوجه عليه لوم لأنه فعل الله ولا يسأل عما يفعل ثالثها قال بن عبد البر هذا عندي مخصوص بآدم لأن المناظرة بينهما وقعت بعد أن تاب الله على آدم قطعا كما قال تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه فحسن منه أن ينكر على موسى لومه على الأكل من الشجرة لأنه كان قد تيب عليه من ذلك وإلا فلا يجوز لأحد أن يقول لمن لامه على ارتكاب معصية كما لو قتل أو زنى أو سرق هذا سبق في علم الله وقدره علي قبل أن يخلقني فليس لك أن تلومني عليه فإن الأمة أجمعت على جواز لوم من وقع منه ذلك بل على استحباب ذلك كما أجمعوا على استحباب محمدة من واظب على الطاعة قال وقد حكى بن وهب في كتاب القدر عن مالك عن يحيى بن سعيد أن ذلك كان من آدم بعد أن تيب عليه رابعها إنما توجهت الحجة لآدم لأن موسى لامه بعد أن مات واللوم إنما يتوجه على المكلف ما دام في دار التكليف فإن الأحكام حينئذ جارية عليهم فيلام العاصي ويقام عليه الحد والقصاص وغير ذلك وأما بعد أن يموت فقد ثبت النهي عن سب الأموات ولا تذكروا موتاكم إلا بخير لأن مرجع أمرهم إلى الله وقد ثبت أنه لا يثني العقوبة على من أقيم عليه الحد بل ورد النهي عن التثريب على الأمة إذا زنت وأقيم عليها الحد وإذا كان كذلك فلوم موسى لآدم إنما وقع بعد انتقاله عن دار التكليف وثبت أن الله تاب عليه فسقط عنه اللوم فلذلك عدل إلى الاحتجاج بالقدر السابق وأخبر النبي ﷺ بأنه غلب موسى بالحجة قال المازري: لما تاب الله على آدم صار ذكر ما صدر منه إنما هو كالبحث عن السبب الذي

دعاه إلى ذلك فأخبر هو أن الأصل في ذلك القضاء السابق فلذلك غلب بالحجة قال الداودي: فيما نقله بن التين: إنما قامت حجة آدم لأن الله خلقه ليجعله في الأرض خليفة فلم يحتج آدم في أكله من الشجرة بسابق العلم لأنه كان عن اختيار منه وإنما احتج بالقدر لخروجه لأنه لم يكن بد من ذلك وقيل: أن آدم أب وموسى ابن وليس للابن أن يلوم أباه حكاه القرطبي وغيره ومنهم من عبر عنه بأن آدم أكبر منه وتعقبه بأنه بعيد من معنى الحديث ثم هو ليس على عمومه بل يجوز للابن أن يلوم أباه في عدة مواطن وقيل: إنما غلبه لأنهما شريعتين متغايرتين وتعقب بأنها دعوى لا دليل عليها ومن أين يعلم أنه كان في شريعة آدم أن المخالف يحتج بسابق القدر وفي شريعة موسى أنه لا يحتج أو أنه يتوجه له اللوم على المخالف وفي الجملة فأصح الأجوبة الثاني والثالث ولا تنافي بينهما فيمكن أن يمتزج منهما جواب واحد وهو أن التائب لا يلام على ما تيب عليه منه ولا سيما إذا انتقل عن دار التكليف وقد سلك النووي هذا المسلك فقال معنى كلام آدم أنك يا موسى تعلم أن هذا كتب علي قبل أن أخلق فلا بد من وقوعه ولو حرصت أنا والخلق أجمعون على رد مثقال ذرة منه لم نقدر فلا تلمني فإن اللوم على المخالفة شرعي لا عقلي وإذا تاب الله علي وغفر لي زال اللوم فمن لامني كان محجوجا بالشرع فإن قيل فالعاصي اليوم لو قال هذه المعصية قدرت علي فينبغي أن يسقط عني اللوم قلنا الفرق أن هذا العاصي باق في دار التكليف جارية عليه الأحكام من العقوبة واللوم وفي ذلك له ولغيره زجر وعظة فأما آدم فميت خارج عن دار التكليف مستغن عن الزجر فلم يكن

للومه فائدة بل فيه إيذاء وتخجيل فلذلك كان الغلبة له وقال التوربشتي: ليس معنى قوله كتبه الله علي ألزمني به وإنما معناه أثبته في أم الكتاب قبل أن يخلق آدم وحكم أن ذلك كائن ثم إن هذه المحاججة إنما وقعت في العالم العلوي عند ملتقى الأرواح ولم تقع في عالم الأسباب والفرق بينهما أن عالم الأسباب لا يجوز قطع النظر فيه عن الوسائط والاكتساب بخلاف العالم العلوي بعد انقطاع موجب الكسب وارتفاع الأحكام التكليفية فلذلك احتج آدم بالقدر السابق قلت وهو محصل بعض الأجوبة المتقدم ذكرها وفيه استعمال التعريض بصيغة المدح يؤخذ ذلك من قول آدم لموسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته إلى آخر ما خاطبه به وذلك أنه أشار بذلك إلى أنه اطلع على عذره وعرفه بالوحي فلو استحضر ذلك ما لامه مع وضوح عذره وأيضا ففيه إشارة إلى شيء آخر أعم من ذلك وإن كان لموسى فيه اختصاص فكأنه قال لو لم يقع إخراجي الذي رتب على أكلي من الشجرة ما حصلت لك هذه المناقب لأني لو بقيت في الجنة واستمر نسلي فيها ما وجد من تجاهر بالكفر الشنيع بما جاهر به فرعون حتى أرسلت أنت إليه وأعطيت ما أعطيت فإذا كنت أنا السبب في حصول هذه الفضائل لك فكيف يسوغ لك أن تلومني قال الطيبي: مذهب الجبرية إثبات القدرة لله ونفيها عن العبد أصلا ومذهب المعتزلة بخلافه وكلاهما من الإفراط والتفريط على شفا جرف هار والطريق المستقيم القصد فلما كان سياق كلام موسى يؤول إلى الثاني بأن صدر الجملة بحرف الإنكار والتعجب وصرح باسم آدم ووصفه بالصفات التي كل واحدة منها مستقلة في علية عدم ارتكابه المخالفة ثم أسند

الإهباط إليه ونفس الإهباط منزلة دون فكأنه قال ما أبعد هذا الانحطاط من تلك المناصب العالية فأجاب آدم بما يقابلها بل أبلغ فصدر الجملة بهمزة الإنكار أيضا وصرح باسم موسى ووصفه بصفات كل واحدة مستقلة في علية عدم الإنكار عليه ثم رتب العلم الأزلي على ذلك ثم أتى بهمزة الإنكار بدل كلمة الاستبعاد فكأنه قال تجد في التوراة هذا ثم تلومني قال وفي هذا التقرير تنبيه على تحري قصد الأمور قال وختم النبي ﷺ الحديث بقوله فحج آدم موسى تنبيها على أن بعض أمته كالمعتزلة ينكرون القدر فاهتم لذلك وبالغ في الإرشاد قلت ويقرب من هذا ما تقدم في كتاب الإيمان في الرد على المرجئة بحديث بن مسعود رفعه سباب المسلم فسوق وقتاله كفر فلما كان المقام مقام الرد على المرجئة اكتفى به معرضا عما يقتضيه ظاهره من تقوية مذهب الخوارج المكفرين بالذنب اعتمادا على ما تقرر من دفعه في مكانه فكذلك هنا لما كان المراد به الرد على القدرية الذين ينكرون سبق القدر اكتفى به معرضا عما يوهمه ظاهره من تقوية مذهب الجبرية لما تقرر من دفعه في مكانه والله أعلم وفي هذا الحديث عدة من الفوائد غير ما تقدم قال القاضي عياض ففيه حجة لأهل السنة في أن الجنة التي أخرج منها آدم هي جنة الخلد التي وعد المتقون ويدخلونها في الآخرة خلافا لمن قال من المعتزلة وغيرهم إنها جنة أخرى ومنهم من زاد على ذلك فزعم أنها كانت في الأرض وقد سبق الكلام على ذلك في أواخر كتاب الرقاق وفيه إطلاق العموم وإرادة الخصوص في قوله أعطاك علم كل شيء والمراد به كتابه المنزل عليه وكل شيء يتعلق به وليس المراد عمومه لأنه قد أقر

الخضر على قوله وإني على علم من علم الله لا تعلمه أنت وقد مضى واضحا في تفسير سورة الكهف وفيه مشروعية الحجج في المناظرة لإظهار طلب الحق وإباحة التوبيخ والتعريض في أثناء الحجاج ليتوصل إلى ظهور الحجة وأن اللوم على من أيقن وعلم أشد من اللوم على من لم يحصل له ذلك وفيه مناظرة العالم من هو أكبر منه والابن أباه ومحل مشروعية ذلك إذا كان لإظهار الحق أو الازدياد من العلم والوقوف على حقائق الأمور وفيه حجة لأهل السنة في إثبات القدر وخلق أفعال العباد وفيه انه يغتفر للشخص في بعض الأحوال مالا يغتفر في بعض كحالة الغضب والأسف وخصوصا ممن طبع على حدة الخلق وشدة الغضب فإن موسى عليه السلام لما غلبت عليه حالة الإنكار في المناظرة خاطب آدم مع كونه والده باسمه مجردا وخاطبه بأشياء لم يكن ليخاطب بها في غير تلك الحالة ومع ذلك فأقره على ذلك وعدل إلى معارضته فيما أبداه من الحجة في دفع شبهته قوله باب لا مانع لما أعطى الله هذا اللفظ منتزع من معنى الحديث الذي أورده الحديث طرف من حديث معاوية أخرجه مالك ولمح المصنف بذلك إلى أنه بعض حديث الباب كما قدمته عند شرحه في آخر صفة الصلاة وأن معاوية استثبت المغيرة في ذلك وقد تقدم شرح الحديث مستوفى هناك وقوله ولا معطي لما منعت زاد فيه مسعر عن عبد الملك بن عمير عن وراد ولا راد لما قضيت أخرجه الطبراني بسند صحيح عنه وذكرت لهذه الزيادة طريقا أخرى هناك وكذا رويناها في فوائد أبي سعد الكنجرودي قوله وقال بن جريج وصله أحمد ومسلم من طريق بن جريج والغرض

التصريح بأن ورادا أخبر به عبدة لأنه وقع في الرواية الأولى بالعنعنة قوله باب من تعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء تقدم شرح ذلك في أوائل الدعوات قوله وقوله تعالى قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق يشير بذكر الآية إلى الرد على من زعم أن العبد يخلق فعل نفسه لأنه لو كان السوء المأمور بالاستعاذة بالله منه مخترعا لفاعله لما كان للاستعاذة بالله منه معنى لأنه لا يصح التعوذ إلا بمن قدر على إزالة ما استعيذ به منه حديث أبي هريرة وهو يتضمن أن الله تعالى فاعل جميع ما ذكر والمراد بسوء القضاء سوء المقضي كما تقدم تقريره مع شرح الحديث مستوفى في أوائل الدعوات " ١ .

الفطرة السليمة مضافة إلى الإيمان بالله تعالى هما الحصن الحصين، والدواء القويم لكل داء مشين.

" وروى أن على بن أبى طالب لقى رجلاً من القدرية فقال له: خالفتم الله وخالفتم الملائكة، وخالفتم أهل الجنة وخالفتم أهل النار، وخالفتم الأنبياء وخالفتم الشيطان، فأما خلافكم الله فقوله: (إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاء) [القصص: ٥٦] ، وأما خلافكم الملائكة فقولهم: (لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا) [البقرة: ٣٢] ، وأما خلافكم الأنبياء، فقول نوح: (وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ) [هود: ٣٤] ، وأما خلافكم أهل الجنة، فقولهم: (الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ) [الأعراب: ٤٣] ، وأما خلافكم لأهل

١ فتح الباري : ١١ / ٥١٠ – ٥١٣ بتصرف يسير .

النار، فقولهم: (رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ) [المؤمنون: ١٠٦] ، وأما خلافكم الشيطان، فقول إبليس: (رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي) [الحجر: ٣٩] . وذكر الآجري بإسناده عن على بن أبى طالب أن رجلاً أتاه فقال: أخبرني عن القدر، فقال: طريق مظلم فلا تسلكه. قال: أخبرني عن القدر. قال: بحر عميق فلا تلجه، قال: أخبرني عن القدر، قال: سر الله فلا تكلفه، ثم ولى الرجل غير بعيد، ثم رجع فقال لعلى: فى المشيئة الأولى أقوم وأقعد، وأقبض وأبسط فقال له على: إني سائلك عن ثلاث خصال ولن يجعل الله لك مخرجًا، قال: أخبرني أخلقك الله لما شاء أم لما شئت؟ قال: بل لما شاء، قال: أخبرني أتجيء يوم القيامة كما يشاء أو كما شئت؟ قال: بل كما يشاء. قال: أخبرني أجعلك الله كما شاء أو كما شئت؟ قال: بل كما شاء. قال: فليس لك من المشيئة شيء. وقال محمد بن كعب القرظي: لقد سمى الله المكذبين بالقدر باسم نسبهم إليه فى القرآن فقال: (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِى ضَلاَلٍ وَسُعُرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر: ٤٧ – ٤٩] فهم المجرمون" [١] .

من ثَمَّ " يجب أن نفرق بين التوكل والتواكل. إن التوكل عمل قلب وليس عمل جوارح، والتواكل تعطيل عمل جوارح. ليس في الإسلام تواكل، إنما الجوارح تعمل والقلوب تتوكل " [٢] .

---

١ شرح ابن بطال ، كتاب التعبير ، باب (وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) [الأعراف: ٤٣] و(لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِى لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) [الزمر:٥٧]، برقم (٢٥) : ٣٢٦/١٠ وما بعدها .

٢ تفسير الشعراوي : ٢ / ٦٦٩ .

وقال الشيخ الشعراوي – رحمه الله تعالى – : " إن هذا يعطي المؤمن إيمانية التوكل، وهي تختلف عن الكسل و«بلادة التواكل» فإيمانية التوكل هي أن الجوارح تعمل، والقلوب تتوكل، أما الكسل عن الأخذ بالأسباب مع الادعاء بالتوكل فهذه بلادة، ومثل هذا الكسول المتواكل عندما يأتي الأكل أمامه يأكل بنهم وشره، ولو كان صادقا لترك اللقمة تقفز إلى فمه، ولماذا يمضغها إذن؟ لماذا يختار التواكل والكسل، وعدم العمل، ثم يمد يده ليأكل؟ إن هذه هي «صفات التواكل» " [١]

فاتضح مما سبق: أن على العبد أن يعمل، ولا يتكل، وأن يلتزم تعاليم الشرع الحنيف في قوله، وعمله، وسلوكه، ويعلم أن الإيمان بالقدر ينفي الاحتجاج به عند الوقوع في المخالفات الشرعية، التي تهدر المال، والعقل، والدين، وليحذر التواكل، والاعتماد على الكتابة السابقة؛ فإن ذلك باب يفتحه الشيطان، وقرناء السوء على العبد، ويبعده عن فهم أصل قضية القدر، مما يجعله في غفلة عن التعاليم النبوية التي توقف الجزاء الحسن على الالتزام قولا، وعملا دون البحث في أصل ما قدر؛ فإن دعوى ذلك لا محالة باطلة.

١ تفسير الشعراوي : ٣ / ١٦٣٨ .

القاعدة الثالث

الإرادة القوية والنية الخالصة لله سر ترك الإدمان

" عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان " [1] .

" قال القاضي: وقوله: " المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير " القوة هنا المحمودة يحتمل أنها فى الطاعة، من شدة البدن وصلابة الأسر، فيكون أكثر عملا، وأطول قيامًا، وأكثر صياما وجهادا وحجا. وقد تكون القوة هنا فى المنة وعزيمة النفس، فيكون أقدم على العدو فى الجهاد وأشد عزيمة فى تغيير المناكر والصبر على إيذاء العدو واحتمال المكروه والمشاق فى ذات الله، أو تكون القوة بالمال والغنى فيكون أكثر نفقة فى سبيل الخير، وأقل ميلا إلى طلب الدنيا، والحرص على جمع شيء فيها. وكل هذه الوجوه ظاهرة فى القوة. ثم قال – عليه السلام –: " وفى كل خير " للإيمان الذى هو صفتهم، لكن الله قد باين بين خلقه فى داره، ورفع بعضهم فوق بعض درجات . وقوله: " إن أصابك شيء فلا تقل: لو أنى فعلت، ولكن قل: قدر

---

١ صحيح : أخرجه مسلم ، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز ، برقم (٢٦٦٤) : ٢٠٥٢/٤.

الله وما شاء الله فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان ": قال بعض أهل العلم: معنى هذا الحديث والنهى عن قول هذا، إنما هو لمن قاله معتقدا ذلك حتما فإنه لو فعل ذلك لم يصبه [ذلك] قطعا، فأما مَنْ ردّ ذلك إلى مشيئة الله، وأنه لن يصيبه فعل ذلك، أولم يفعله إلا ما شاء الله وقدره فليس من هذا. واستدل بما ورد من قول النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه فى هذا، مثل قول أبى بكر فى الغار: " لو أنّ أحدهم رفع رأسه لرآنا "، وهذا لا حجة له فيه " [١] .

و " في الحديث حث على أمور ثلاث:

١- تقوية الإيمان.

٢- الحرص على النافع.

٣- الاستعانة بالله.

والنهي عن أمرين:

١- العجز.

٢- وقولك إذا أصابك مكروه، أو فاتك محبوب، لو أني فعلت كذا كان خلاف ما حصل.

فإن هذا القول فتح بابا للشيطان ولكن تقول قدّر الله وما شاء فعل فتلك خمسة أمور نبينها فيما يأتي:

١- الإيمان محور السعادة في الدنيا والآخرة: (متى أتبع بالعمل الصالح مَنْ عَمِلَ صالِحا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ)، والناس متفاوتون في الإيمان فمنهم قوي تدفعه عزيمته إلى الأعمال

١ إكمال المعلم : ٨ / ١٥٧ .

الصالحة فتراه مقداما في الجهاد أمّارا بالمعروف: نهاء عن المنكر لا يبالي بالأذى يناله في سبيل الدعوة إلى الخير، صبورا على القيام بحقوق الله من صلاة وصوم وزكاة وحج وحسن معاملة للناس لا تفتر همته في ذلك ولا يدع للخور إلى نفسه سبيلا. ومنهم ضعيف الإيمان تراه بعكس سابقه، وقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الأول خير من الثاني لأنه دائب في طلب السعادة لنفسه كاملة، أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فسعيه مشكور، والثاني آمن وقصر في السعي فهو لنفسه عند تقصيره وكما أن الأول خير فهو أحب إلى الله من الثاني. لأنه أتى من الأعمال بما يقربه إليه ويستدعي عطفه عليه ولا كذلك الثاني.

وقد قال الرسول ﷺ: «وفي كلٍ خير» لأن الاستعداد بالإيمان عند كل منهما، ولكن الأول: نماه بالعمل الطيب فازداد رسوخا وثباتا، وأتي أكله عند كل منهما، ولكن الأول: نماه بالعمل الطيب فازداد رسوخا وثباتا، وأتي أكله كل حين بإذن ربه، وأما الثاني فإنه أهمله، وإن لم يتداركه بالعناية وصالح العمل خشي عليه الذبول فالموت فعقد الخير.

فالغرض من هذه الجملة الحث على العناية بشجرة الإيمان بسقيها والقيام عليها وإبعاد الحشرات منها حتى يثمر للعبد عزة في دنياه وسعادة في أخراه.

٢- أمرنا الرسول ﷺ بالحرص على النافع في الدنيا والآخرة، فالمؤمن لا يدع فرصة يستطيع فيها كسب مال أو جاه أو علم نافع من علوم الحياة كرياضة أو هندسة أو طب أو تربية أو كسب خلق طيب أو تنميته أو أداء عمل يقرب إلى الله وينفع في

الآخرة كقراءة قرآن ومدارسة ودين وصلاة أو صيام. لا يدع فرصة يستطيع فيها شيئا من ذلك إلا انتهزها.

٣- ولا ينسى ربه عند مباشرة الأسباب فإن العوائق جمة والحاجة إلى مدده في كل لحظة دائمة فإن لم يستعن به ربما وقف عن غايته.

فليستعن بالله الذي بيده كل شيء ومنه التيسير وبه التوفيق (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)

٤- ولا ييأس من الوصول إلى غرضه وقد ملأت الثقة بالله نفسه بل ليطرح عنه الكسل جانبا والتقاعد والخمول ظهريا وليقل كما كان يقول الرسول ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل» وفي هاتين الجملتين إرشاد إلى ما به يقوى الإيمان فإن قوة العزيمة والجد في مباشرة العمل بعد بحثه وتبين الصالح منه مع الثقة بالله والاستنجاد به مما يزيد الإيمان قوة في النفس كما أن الجملة الآتية إرشاد لترك التمنيات الباطلة وترك الكلام الذي لا يجدي بل يقول حسنا ويفعل طيبا " [١]

فـ " هذا الحديث اشتمل على أصول عظيمة وكلمات جامعة. فمنها: إثبات المحبة صفة لله، وأنها متعلقة بمحبوباته وبمن قام بها ودلّ على أنها تتعلق بإرادته ومشيئته، وأيضا تتفاضل. فمحبته للمؤمن القوي أعظم من محبته للمؤمن الضعيف. ودلّ الحديث على أن الإيمان يشمل العقائد القلبية والأقوال والأفعال، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة فإن "الإيمان بضع

١ الأدب النبوي : ٢١٥ وما بعدها بتصرف .

وسبعون شُعْبَةً، أَعْلَاهَا: قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ". وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ منه. وهذه الشعب التي ترجع إلى الأعمال الباطنة والظاهرة كلها من الإيمان. فمن قام بها حق القيام، وكَمَّل نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح، وكمَّل غيره بالتواصي بالحق، والتواصي بالصبر: فهو المؤمن القوي الذي حاز أعلى مراتب الإيمان. ومن لم يصل إلى هذه المرتبة: فهو المؤمن الضعيف. وهذا من أدلة السلف على أن الإيمان يزيد وينقص. وذلك بحسب علوم الإيمان ومعارفه، وبحسب أعماله . وهذا الأصل قد دلّ عليه الكتاب والسنة في مواضع كثيرة. ولما فاضل النبي صلّى الله عليه وسلم بين المؤمنين قويهم وضعيفهم خشي من توهم القدح في المفضول، فقال: "وفي كل خير" وفي هذا الاحتراز فائدة نفيسة، وهي أن على من فاضل بين الأشخاص أو الأجناس أو الأعمال أن يذكر وجه التفضيل، وجهة التفضيل. ويحترز بذكر الفضل المشترك بين الفاضل والمفضول، لئلا يتطرق القدح إلى المفضول وكذلك في الجانب الآخر إذا ذكرت مراتب الشر والأشرار، وذكر التفاوت بينهما. فينبغي بعد ذلك أن يذكر القدر المشترك بينهما من أسباب الخير أو الشر. وهذا كثير في الكتاب والسنة. وفي هذا الحديث: أن المؤمنين يتفاوتون في الخيرية، ومحبة الله والقيام بدينه، وأنهم في ذلك درجات {وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ} [الأحقاف:١٩] ، ويجمعهم ثلاثة أقسام: السابقون إلى الخيرات، وهم الذين قاموا بالواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات، وفضول المباحات وكملوا ما باشروه من الأعمال، واتصفوا بجميع صفات الكمال. ثم

المقتصدون الذين اقتصروا على القيام بالواجبات وترك المحظورات. ثم الظالمون لأنفسهم، الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيّئا.

وقوله صلّى الله عليه وسلم: "احرص على ما ينفعك واستعن بالله" كلام جامع نافع، مُحِتوٍ على سعادة الدنيا والآخرة. والأمور النافعة قسمان: أمور دينية، وأمور دنيوية. والعبد محتاج إلى الدنيوية كما أنه محتاج إلى الدينية. فمدار سعادته وتوفيقه على الحرص والاجتهاد في الأمور النافعة منهما، مع الاستعانة بالله تعالى، فمتى حرص العبد على الأمور النافعة واجتهد فيها، وسلك أسبابها وطرقها، واستعان بربه في حصولها وتكميلها: كان ذلك كماله، وعنوان فلاحه. ومتى فاته واحد من هذه الأمور الثلاثة: فاته من الخير بحسبها، فمن لم يكن حريصا على الأمور النافعة، بل كان كسلانا لم يدرك شيئا. فالكسل هو أصل الخيبة والفشل. فالكسلان لا يدرك خيرا، ولا ينال مكرمة، ولا يحظى بدين ولا دنيا، ومتى كان حريصا، ولكن على غير الأمور النافعة: إما على أمور ضارة، أو مفوتة للكمال كان ثمرة حرصه الخيبة، وفوات الخير، وحصول الشر والضرر، فكم من حريص على سلوك طرق وأحوال غير نافعة لم يستفد من حرصه إلا التعب والعناء والشقاء. ثم إذا سلك العبد الطرق النافعة، وحرص عليها، واجتهد فيها: لم تتم له إلا بصدق اللجوء إلى الله، والاستعانة به على إدراكها وتكميلها وأن لا يتكل على نفسه وحَوْله وقوته، بل يكون اعتماده التام بباطنه وظاهره على ربه. فبذلك تهون عليه المصاعب، وتتيسر لها لأحوال، وتتمّ له النتائج والثمرات الطيّبة في أمر الدين وأمر الدنيا،

لكنّه في هذه الأحوال محتاج – بل مضطر غاية الاضطرار – إلى معرفة الأمور التي ينبغي الحرص عليها، والجد في طلبها. فالأمور النافعة في الدين ترجع إلى أمرين: علم نافع، وعمل صالح. أما العلم النافع: فهو العلم المزكي للقلوب والأرواح، المثمر لسعادة الدارين. وهو ما جاء به الرسول صلّى الله عليه وسلم من حديث وتفسير وفقه، وما يعين على ذلك من علوم العربية بحسب حالة الوقت والموضع الذي فيه الإنسان، وتعيين ذلك يختلف باختلاف الأحوال. والحالة التقريبية: أن يجتهد طالب العلم في حفظ مختصر من مختصرات الفن الذي يشتغل فيه. فإن تعذر أو تعسر عليه حفظه لفظاً، فليكرره كثيراً، متدبراً لمعانيه، حتى ترسخ معانيه في قلبه. ثم تكون باقي كتب هذا الفن كالتفسير والتوضيح والتفريع لذلك الأصل الذي عرفه وأدركه، فإن الإنسان إذا حفظ الأصول وصار له ملكة تامة في معرفتها هانت عليه كتب الفن كلها: صغارها وكبارها. ومن ضيع الأصول حرم الوصول.

فمن حرص على هذا الذي ذكرناه، واستعان بالله: أعانه الله، وبارك في علمه، وطريقه الذي سلكه. ومن سلك في طلب العلم غير هذه الطريقة النافعة: فاتت عليه الأوقات، ولم يدرك إلا العناء، كما هو معروف بالتجربة. والواقع يشهد به، فإن يسر الله له معلماً يحسن طريقة التعليم، ومسالك التفهيم: تم له السبب الموصل إلى العلم. وأما الأمر الثاني – وهو العمل الصالح –: فهو الذي جمع الإخلاص لله، والمتابعة للرسول صلّى الله عليه وسلم، وهو التقرب إلى الله: باعتقاد ما يجب لله من صفات الكمال، وما يستحقه على عباده من العبودية، وتنزيهه عما لا يليق

بجلاله، وتصديقه وتصديق رسوله في كل خبر أخبرا به عما مضى، وعما يستقبل عن الرسل، والكتب والملائكة، وأحول الآخرة، والجنة والنار، والثواب والعقاب وغير ذلك ثم يسعى في أداء ما فرضه الله على عباده: من حقوق الله، وحقوق خلقه ويكمل ذلك بالنوافل والتطوعات، خصوصاً المؤكدة في أوقاتها، مستعيناً بالله على فعلها، وعلى تحقيقها وتكميلها، وفعلها على وجه الإخلاص الذي لا يشوبه غرض من الأغراض النفسية. وكذلك يتقرب إلى الله بترك المحرمات، وخصوصاً التي تدعو إليها النفوس، وتميل إليها. فيتقرب إلى ربه بتركها لله، كما يتقرب إليه بفعل المأمورات، فمتى وفّق العبد بسلوك هذا الطريق في العمل، واستعان الله على ذلك أفلح ونجح. وكان كماله بحسب ما قام به من هذه الأمور، ونقصه بحسب ما فاته منها.

وأما الأمور النافعة في الدنيا: فالعبد لا بد له من طلب الرزق. فينبغي أن يسلك أنفع الأسباب الدنيوية اللائقة بحاله. وذلك يختلف باختلاف الناس، ويقصد بكسبه وسعيه القيام بواجب نفسه، وواجب من يعوله ومن يقوم بمؤنته، وينوي الكفاف والاستغناء بطلبه عن الخلق. وكذلك ينوي بسعيه وكسبه تحصيل ما تقوم به العبوديات المالية: من الزكاة والصدقة، والنفقات الخيرية الخاصة والعامة مما يتوقف على المال، ويقصد المكاسب الطيبة، متجنباً للمكاسب الخبيثة المحرمة. فمتى كان طلب العبد وسعيه في الدنيا لهذه المقاصد الجليلة، وسلك أنفع طريق يراه مناسباً لحاله كانت حركاته وسعيه قربة يتقرب إلى الله بها. ومن تمام ذلك: أن لا يتكل العبد على حوله وقوته وذكائه ومعرفته، وحذقه بمعرفة الأسباب

وإدارتها، بل يستعين بربه متوكلاً عليه، راجياً منه أن ييسره لأيسر الأمور وأنجحها، وأقربها تحصيلاً لمراده. ويسأل ربه أن يبارك له في رزقه، فأول بركة الرزق: أن يكون مؤسساً على التقوى والنية الصالحة. ومن بركة الرزق: أن يوفق العبد لوضعه في مواضعه الواجبة والمستحبة، ومن بركة الرزق: أن لا ينسى العبد الفضل في المعاملة، كما قال تعالى: {وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ} [البقرة:٢٣٧]، بالتيسير على الموسرين، وإنظار المعسرين، والمحاباة عند البيع والشراء، بما تيسر من قليل أو كثير. فبذلك ينال العبد خيراً كثيرا " [١] .

فتأكد مما سبق : " أَنَّ الْإِيمَانَ وَالْإِخْلَاصَ لَا يَعْتَرِيهِ شَيْءٌ وَأَنَّ مَبْنَى الأعمال على الإخلاص، قال القاري فِيهِ أَنَّهُ لَا دَلَالَةَ لِلْحَدِيثِ عَلَى الْإِخْلَاصِ مَعَ أَنَّهُ مُعْتَبَرٌ فِي جَمِيعِ مَرَاتِبِ الِاخْتِصَاصِ " [٢] .

قال الإمام النووي : " والمراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد وأسرع خروجا إليه وذهابا في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك وأما قوله ﷺ وفي كل خير فمعناه في

١ بهجة القلوب : ٣٣ – ٣٦ بتصرف .

٢ تحفة الأحوذي : ٥ / ٢٢٦ .

كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات قوله ﷺ (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز) أما احرص فبكسر الراء وتعجز بكسر الجيم وحكي فتحهما جميعا ومعناه احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة، ولا عن طلب الإعانة قوله ﷺ " [١] .

١ شرح النووي : ١٦ / ٢١٥ .

القاعدة الرابع

المجاهدة بإخلاص سبيل الهداية

" عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِى يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ "[1].

قال القاضي عياض : " وفى هذا فضل كظم الغيظ وأن مجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو؛ لأن النبي – عليه السلام – جعل غلبته لنفسه أشد من غلبته لمناوئه، قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} قيل فيه: جهاد النفس، وفى الحديث: " رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر " [2] .

و " عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: بينما أنا رديف النبي ﷺ، ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل، فقال: «يا معاذ» قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: «يا معاذ» قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: «يا معاذ بن جبل» قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: «هل تدري ما حق الله على عباده؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا» ثم سار ساعة، ثم قال: «يا معاذ بن جبل» قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: «هل تدري ما

---

١ صحيح : أخرجه البخاري ، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب ، برقم (٦١١٤) : ٢٨/٨ . ومسلم ، كتاب البر والصلة ، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ، برقم (٢٦٠٩) : ٢٠١٤/٤ .

٢ إكمال المعلم : ٨٤/٨ وما بعدها .

حق العباد على الله إذا فعلوه» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حق العباد على الله أن لا يعذبهم»[١] .

قال البدر العيني معرفا مجاهدة النفس: " هي كفها عن إرادتها مما يشغلها بترك العبادة " [٢] .

وقال ابن حجر : " (قوله باب من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل) يعني بيان فضل من جاهد والمراد بالمجاهدة كف النفس عن إرادتها من الشغل بغير العبادة وبهذا تظهر مناسبة الترجمة لحديث الباب وقال ابن بطال: جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل قال الله تعالى: (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى...) الآية. ويقع بمنع النفس عن المعاصي وبمنعها من الشبهات وبمنعها من الإكثار من الشهوات المباحة لتتوفر لها في الآخرة. قلت ولئلا يعتاد الإكثار فيألفه فيجره إلى الشبهات فلا يأمن أن يقع في الحرام ونقل القشيري عن شيخه أبي علي الدقاق: من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريق شمة . وعن أبي عمرو بن بجيد : من كرم عليه دينه هانت عليه نفسه. قال القشيري: أصل مجاهدة النفس فطمها عن المألوفات، وحملها على غير هواها. وللنفس صفتان انهماك في الشهوات، وامتناع عن الطاعات، فالمجاهدة تقع بحسب ذلك. قال بعض الأئمة: جهاد النفس داخل في جهاد العدو؛ فإن الأعداء ثلاثة رأسهم الشيطان ثم النفس؛ لأنها تدعو إلى اللذات المفضية

---

١ صحيح : أخرجه البخاري : كتاب الرقاق، باب من جاهد نفسه في طاعة الله ، برقم (٦٥٠٠) : ١٠٥/٨.

٢ عمدة القاري : ٨٧/٢٣ .

بصاحبها إلى الوقوع في الحرام الذي يسخط الرب . والشيطان هو المعين لها على ذلك ويزينه لها فمن خالف هوى نفسه قمع شيطانه، فمجاهدته نفسه: حملها على اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه وإذا قوي العبد على ذلك سهل عليه جهاد أعداء الدين، فالأول الجهاد الباطن، والثاني الجهاد الظاهر وجهاد النفس أربع مراتب: حملها على تعلم أمور الدين ثم حملها على العمل بذلك ثم حملها على تعليم من لا يعلم ثم الدعاء إلى توحيد الله وقتال من خالف دينه وجحد نعمه، وأقوى المعين على جهاد النفس: جهاد الشيطان بدفع ما يلقي إليه من الشبهة والشك، ثم تحسين ما نهي عنه من المحرمات، ثم ما يفضي الإكثار منه إلى الوقوع في الشبهات، وتمام ذلك من المجاهدة : أن يكون متيقظا لنفسه في جميع أحواله؛ فإنه متى غفل عن ذلك استهواه شيطانه ونفسه إلى الوقوع في المنهيات " [1] .

و " عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال: "لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت"، ثم قال: "ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل"، ثم تلا:(){تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ... } حتى بلغ: {يَعْمَلون} . ثم قال: "ألا أخبرك برأس

١ فتح الباري : ١١ / ٣٣٧ وما بعدها بتصرف .

الأمر وعموده وذروة سنامه؟ "، قلت: بلى يا رسول الله. قال: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد" ، ثم قال: "ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ "، قلت: بلى يا رسول الله. فأخذ بلسانه، وقال: "كف عليك هذا". قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: "ثكلتك أمك، وهل يكب الناس في النار على وجوههم – أو قال: على مناخرهم – إلا حصائد ألسنتهم؟ " [١] .

فتأكد مما سبق أن الجهاد الأكبر هو: " جِهَادُ النَّفْسِ وَالْهَوَى، فَإِنَّ جِهَادَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي اللَّهِ» [٢] .

" وقال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: " ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب " [٣] . من ثم " يُقَالُ: جِهَادُ النَّفْسِ هُوَ الْجِهَادُ أَيْ إِنَّهُ أَفْضَلُهُ " [٤]

وقال العلماء : " الجهاد الأكبر أي الذي هو جهاد النفس، وذلك لأن تلك الأعمال لما كانت تسد طرق الشيطان والهوى عن النفس وتقهرها وتمنعها من قبول الوساوس واتباع الشهوات فيغلب

---

١ حسن صحيح : أخرجه الترمذي : أبواب الإيمان ، باب ما جاء في حرمة الصلاة ، برقم (٢٦١٦) : ١١/٥ . وصححه الألباني . شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد : ٩٩ .

٢ جامع العلوم والحكم (الأرنؤوط) : ١ /٤٨٩.

٣ إسناده صحيح : أخرجه أحمد ، مسند فضالة ، برقم (٢٣٩٥٨): ٣٨١/٣٩.

٤ شرح الزرقاني على الموطأ : ٥٥٧/١ .

بهـا حـزب الله وجنـوده عـدوه كانـت هـي المرابطـة الحقيقيـة. والجهـاد الأكبـر جهـاد الكفـار وإن شـرع للخـروج عـن النفـوس والأولاد والأمـوال لإعـلاء كلمـة الله تعـالى مـع تكميـل النفـوس بخروجهـا عـن مألوفـا ومسـتلذاتها، لكنـه لا يـدوم زمنـه وإنمـا يكـون برهـة ثـم ينقضـي، وتلـك الأعمال دائمة الوجود وذلك التكميل موجود فيها بزيادة " [1] .

كمـا قـال النَّبـيُّ – ﷺ –:((المجاهـدُ مَـنْ جاهـد نفسـه فـي الله)) [2] .

" وقـال عبـد الله بـنُ عمـر لمـن سـأله عـن الجهـاد: ابـدأ بنفسـك [3] فجاهـدها، وابـدأ بنفسـك فاغزُهـا . وعـن علـيٍّ بـن أبـي طالـب رضـي الله تعـالى عنـه، قـال: أوَّلَ مـا تُنكـرون مـن جهـادكم : جهـادكم أنفسكم. وقـال إبـراهيم بـن أبـي عبلـة لقـوم جـاءوا مـن الغـزو: قـد جئـتُم مـن الجهـاد الأصـغر، فمـا فعلـتم فـي الجهـاد الأكبـر؟ قـالوا: ومـا الجهـاد الأكبـر؟ قـال: جهـادُ القلـب . وقيـل : " مجاهـدةُ العبـدِ لهـواه " . وقـال أبـو بكـر الصـديق فـي وصـيته لعمـر رضـي الله عنهمـا حـين اسـتخلفه: إنَّ أوَّل مـا أحـذِّرُكَ نفسـك التـي بـين جنبيـك. فهـذا الجهـاد يحتـاجُ أيضـا إلـى صـبر، فمـن صـبر علـى مجاهـدة نفسـه وهـواه وشـيطانه غلبـه، وحصـل لـه النصـر والظفـر، وملَـكَ نفسـه، فصـار

---

١ دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين : ٥٤٥/٦ .

٢ حسن صحيح : أخرجه الترمذي ، أبواب فضائل الجهاد ، باب ما جاء في فضل من مات مرابطا، برقم (١٦٢١) : ٢١٧/٣ . والنسائي ، كتاب الرقائق ، برقم (١١٧٩٤) : ٣٨٦/١٠.

٣ جامع العلوم والحكم : ٥٨٢/٢.

عزيزا ملكا، ومن جَزِعَ ولم يَصبر على مجاهدة ذلك، غُلِب وقُهر وأُسر، وصار عبدا ذليلا أسيرا في يدي شيطانه وهواه " [١] .

قلت : والواقع في شراك المخدرات رجل غلبته نفسه، وهواه، واتبع سبيل الشيطان؛ فسقط في أيدي أولئك المزينين لهذا الإثم الكبير، فصوروا له أن فيه المنافع؛ فهو غافل عن مجاهدة نفسه، وشيطانه، مشغول بالمنافع الوقتية الزائلة التي تهدر في الحقيقة ماله، وتذهب عقله، وتقضي على حياته، ولا مخلص له مما أردى نفسه فيه فأصبح مدمنا إلا أن يتبع هدي نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فيجاهد نفسه، وهواه، وشيطانه؛ فيغلبهم بإذن الله تعالى، فحيث لم يقي نفسه ابتداء وجب عليه أن يعالجها بالعودة إلى تلك التوجيهات التي غفل عنها أولا ، فمن ضل الطريق لا يصل إلى مراده إلا بالعودة إليه، وحيث أخلص نيته في ذلك وصل بإذن الله تعالى.

١ جامع العلوم : ٢ /٥٨٣ وما بعدها بتصرف .

المبحث الثاني

بث الأمل في نفوس الشباب للعودة إلى الله تعالى.

وفيه ثلاثة قواعد:

القاعدة الأول: ترك المحرمات – الإدمان– داخل تحت استطاعة العبد.

القاعدة الثاني: الصحبة الصالحة منفعة في الدنيا والآخرة .

القاعدة الثالث: الدين يحرم ما كان ضرره كاملا أو راجحا .

القاعدة الأول

ترك المحرمات -الإدمان- داخل تحت استطاعة العبد

قال تعالى في محكم آياته : (فاتقوا الله ما استطعتم ...) ، وقال ﷻ : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ...) .

مما يؤكد أن جميع ما جاء به الشرع الحنيف إنما هو داخل تحت قدرة العبد ، وفي مكنته، (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها...) ، (لا يكلف الله نفسا إلا ما أتاها ...) .

" قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ذات يوم في خطبته: " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان...." الحديث [١] .

" قال الإمام: أما قوله: " كل مال نحلته عبدًا حلال " فالمراد به ما لا حق فيه لأحد ولا سبب يحرمه، والقصد: أن ما خلقه الله – سبحانه – فى الأرض وغيرها مما ينتفع الناس به فإنه حلال، وقوله: " خلقت عبادي حنفاء "، بمعنى قوله: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ

١ صحيح : أخرجه مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة، برقم (٢٨٦٥) : ٤/٢١٩٧.

حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}. وقوله: " فاجتالتهم الشياطين " كذا روايتنا فيه بالجيم عند أكثر شيوخنا: الأسدى والخشني وغيرهما، وضبطناه عن الحافظ أبي علي: " فاختالتهم " بالخاء. ومعنى رواية الجيم – وهى أوضح [1]

" قَالَ الله تبارك وتعالى: إني خلقت عبادي حنفاء" أي: على استقامة وسلامة، والحنيف في كلام العرب: المستقيم السالم. وذكر الباقلاني في نقض كتاب "العمد" للجاحظ، أن المراد: أن كل مولود يولد في دار الإسلام فحكمه حكم الدار، وأنه لاحق بكونه مولودًا موجودًا بأحكام المسلمين في تولي أمره ووجوب الصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين...إلخ " [2] .

و" الْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ مُتَأَهِّلَةً لِقَبُولِ الْحَقِّ كَمَا خَلَقَ أَعْيُنَهُمْ وَأَسْمَاعَهُمْ قَابِلَةً لِلْمَرْئِيَّاتِ وَالْمَسْمُوعَاتِ، فَمَا دَامَتْ بَاقِيَةً عَلَى ذَلِكَ الْقَبُولِ وَعَلَى تِلْكَ الْأَهْلِيَّةِ أَدْرَكَتِ الْحَقَّ، وَدِينُ الْإِسْلَامِ هُوَ الدِّينُ الْحَقُّ، وَدَلَّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى بَقِيَّةُ الْحَدِيثِ. وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَعْلَمُ الدِّينَ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا} [النحل: ٧٨] (سُورَةُ النَّحْلِ: الْآيَةُ ٧٨) وَلَكِنَّ الْمُرَادَ : أَنَّ فِطْرَتَهُ مُقْتَضِيَةٌ لِمَعْرِفَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ وَمَحَبَّتِهِ، فَنَفْسُ الْفِطْرَةِ تَسْتَلْزِمُ الْإِقْرَارَ وَالْمَحَبَّةَ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ مُجَرَّدَ قَبُولِ الْفِطْرَةِ لِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَتَغَيَّرُ بِتَهْوِيدِ الْأَبَوَيْنِ مَثَلًا بِحَيْثُ يُخْرِجَانِ الْفِطْرَةَ عَنِ الْقَبُولِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ: أَنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ

١ إكمال المعلم : ٣٩٤/٨.

٢ التوضيح لشرح الجامع الصحيح : ١٠٥/١٠.

يُولَدُ عَلَى إِقْرَارِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ، فَلَوْ خُلِّيَ وَعَدِمَ الْمُعَارِضُ لَمْ يَعْدِلْ عَنْ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ، كَمَا أَنَّهُ يُولَدُ عَلَى مَحَبَّةِ مَا يُلَائِمُ بَدَنَهُ مِنَ ارْتِضَاعِ اللَّبَنِ حَتَّى يَصْرِفَهُ عَنْهُ الصَّارِفُ، وَمِنْ ثَمَّ شُبِّهَتِ الْفِطْرَةُ بِاللَّبَنِ بَلْ كَانَتْ إِيَّاهُ فِي تَأْوِيلِ الرُّؤْيَا، انْتَهَى. وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يُولَدُ عَلَى مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ مِنْ شَقَاوَةٍ أَوْ سَعَادَةٍ، فَمَنْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ يَصِيرُ مُسْلِمًا وُلِدَ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَصِيرُ كَافِرًا وُلِدَ عَلَى الْكُفْرِ، فَكَأَنَّهُ أَوَّلُ الْفِطْرَةَ بِالْعِلْمِ. وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ فِيهِمُ الْمَعْرِفَةَ وَالْإِنْكَارَ، فَلَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنَ الذُّرِّيَّةِ قَالُوا جَمِيعًا بَلَى، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَطَوْعًا، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَكَرْهًا، وَقِيلَ: الْفِطْرَةُ الْخِلْقَةُ أَيْ يُولَدُ سَالِمًا لَا يَعْرِفُ كُفْرًا وَلَا إِيمَانًا ثُمَّ يَعْتَقِدُ إِذَا بَلَغَ التَّكْلِيفَ. وَرَجَّحَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَقَالَ: إِنَّهُ يُطَابِقُ التَّمْثِيلَ بِالْبَهِيمَةِ وَلَا يُخَالِفُ حَدِيثَ عِيَاضٍ ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: حُنَفَاءَ أَيْ عَلَى الِاسْتِقَامَةِ، وَقِيلَ اللَّامُ فِي الْفِطْرَةِ لِلْعَهْدِ أَيْ فِطْرَةِ أَبَوَيْهِ " [١] .

وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : «الْخَيْرُ عَادَةٌ وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ، ومن يرد الله به خيرا يفقه في الدين» [٢] .

قوله : " (الخير عادة) لعود النفس إليه وحرصها عليه من أصل الفطرة . (والشر لجاجة) لما فيه من العوج وضيق النفس والكرب والعادة مشتقة من العود إلى الشيء مرة بعد أخرى ، وأكثر

١ شرح الزرقاني على الموطأ : ٢ / ١٢٨ .

٢ المعجم الكبير للطبراني ، يونس بن ميسرة ، من حديث معاوية رضي الله تعالى عنه، برقم (٩٠٤) : ٣٨٥/١٩. سنن ابن ماجة ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، برقم (٢٢١) : ٨٠/١ . وقال الألباني : حسن .

ما تستعمل العرب العادة في الخير وفيما يسر وينفع. قال المصطفى ﷺ " عودوا قلوبكم الرقة " فحث على تعويده ليؤلف فيسهل. وقيل : اعترض كلب في طريق عيسى عليه السلام فقال: اذهب عافاك الله فقيل له: تخاطب به كلبا؟ قال: لسان عودته الخير فتعود . وقال الحكماء: العادة طبيعة خامسة واللجاج أكثر ما يستعمل في المراجعة في الشيء المضر بشؤم الطبع بغير تدبر عاقبة ويسمى فاعله لجوجا كأنه أخذ من لجة البحر وهي أخطر ما فيه فزجرهم المصطفى ﷺ عن عادة الشر بتسميتها لجاجة وميزها عن تعود الخير بالاسم للفرق فعلى من لم يرزق قلبا سليما من الشر أن يروض نفسه على الخير والكف عن الشر ويلزمها المداومة على ذلك وإنما يؤتى العبد من الضجر والملال والعجلة (ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) أي يفهمه ويبصره في كلام الله ورسوله لأن ذلك يقوده إلى التقوى والتقوى تقوده إلى الجنة " [1] .

والمراد من قوله : " (الخيْرُ عَادَةٌ) : أن الإنسان مجبول على حبّ الخير، كما قال الله –عز وجل–: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم: ٣٠]، (وَالشَّرُّ لجَاجَةٌ) بالفتح، أي: خصومة، أي: لا ينشرح له الصدر، ولا تنبسط له الروح إلا بواسطة لجاجة النفس الأمارة بالسوء والشيطان. قال السنديّ –رحمه الله–: قوله: "الخير عادة إلخ" أي المؤمن الثابت على مقتضى الإيمان والتقوى

١ فيض القدير، برقم (٤١٥٢) : ٣/٥١٠.

ينشرح صدره للخير، فيصير له عادة، وأما الشرّ، فلا ينشرح له صدره، فلا يدخل في قلبه إلا بلجاجة الشيطان، والنفس الأمارة، وهذا هو الموافق لحديث: "دع ما يريبك إلا ما لا يريبك، والإثم ما حاك في الصدر، وإن أفتاك المفتون"، والمراد: أن الخير موافقٌ للعقل السليم، فهو لا يَقبَل إلا إياه، ولا يَميل إلا إليه، بخلاف الشرّ، فإن العقل السليم يَنفِر عنه، ويقبّحه " [١] .

فتمهد مما سبق : أنه ينبغي للمخالف لهذه القاعدة النبوية العريقة أن يرجع إلى الفطرة، التي فطره الله تعالى عليها، وأن يتخلص من الشياطين الذين اغتالوه، وأضلوه، ولوثوا بتلك السموم المهلكة فطرته، وذهبوا به بعيدا عن نقي عقيدته، وطيب شريعته؛ فأهدروا بسمومهم مقدراته، وأضعفوا قواه، وهددوا حياته، فالعودة العودة إلى قواعد الدين، وإلى هدي سيد المرسلين، وترك سبل الشياطين، وملازمة الصراط المستقيم، والانخراط مع الصالحين؛ فإن في ذلك خلاصه من أيدي المضلين، وطريق المجرمين .

١ مشارق الأنوار الوهاجة : ٣٠٩/٤.

القاعدة الثاني

الصحبة الصالحة منفعة في الدنيا والآخرة

" عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: " مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة " [1] .

قال ابن بطال : " وإنما خرج كلامه عليه السلام فى هذا الحديث على المثل فى النهى عن مجالسة من يتأذى بمجالسته، كالمغتاب والخائض فى الباطل، والندب إلى مجالسة من ينال فى مجالسته الخير من ذكر الله تعالى وتعلم العلم وأفعال البر كلها " [2] .

وقال الحافظ ابن حجر : " وفي الحديث النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا والترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته فيهما " [3] .

وقال المناوي : " والمقصود منه النهي عن مجالسة من تؤذي مجالسته في دين أو دنيا والترغيب في مجالسة من تنفع

---

١ صحيح متفق عليه : أخرجه البخاري ، كتاب الذبائح والصيد ، باب المسك ، برقم (٥٥٣٤) : ٩٦/٧ . ومسلم ، كتاب البر والصلة ، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، برقم (٢٦٢٨) : ٢٠٢٦/٤.

٢ شرح ابن بطال : ٢٣٢/٦.

٣ فتح الباري : ٤ / ٣٢٤ .

مجالسته فيهما وفيه إيذان بطهارة المسك وحل بيعه وضرب المثل والعمل في الحكم بالأشياء والنظائر " [١] .

وقال البدر العيني : " ذكر مَا يُسْتَفَاد مِنْهُ فِيهِ: النَّهْي عَن مجالسة من يتَأَذَّى بمجالسته، كالمغتاب والخائض فِي الْبَاطِل، وَالنَّدْب إِلَيّ من ينَال بمجالسته الْخَيْر من ذكر الله وَتعلم الْعلم وأفعال الْبر كلهَا. وَفِي الحَدِيث: (الْمَرْء على دين خَلِيله، فَلْينْظر أحدكُم من يخالل) . وَفِيه: دَلِيل على إِبَاحَة المقايسات فِي الدّين، قَالَه ابْن حبَان عِنْد ذكر هَذَا الحَدِيث. وَفِيه: جَوَاز ضرب الْأَمْثَال. وَفِيه: دَلِيل على طَهَارَة الْمسك" [٢] .

أورد أبو داود حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي).

والمصاحبة هي محل الشاهد من الترجمة من جهة بيان من يصاحبه الإنسان ومن يجالس.

وقوله: (لا تصاحب إلا مؤمناً) أي: من يعرف بالإيمان والتقى، فمن كان كذلك فللإنسان أن يصاحبه ويرافقه ويجالسه؛ لأن الفائدة تعود عليه من وراء مجالسته.

وقوله: (ولا يأكل طعامك إلا تقي) أي: صاحب تقى، والمقصود من ذلك: أن الإنسان لا يدعو إلا أناسا طيبين، ولا يدعو أناسا ليسوا أتقياء، إلا إذا كان يريد من وراء ذلك

---

١ فيض القدير : ٣ / ٤ .

٢ عمدة القاري : ١١ / ٢٢١ . ينظر التنوير شرح الجامع الصحيح : ١٩٩/٤. التيسير بشرح الجامع الصغير : ٣٧١/٢ . شرح القسطلاني : ٣٩/٤. عون المعبود : ١٢٣/١٣ .

استمالتهم وتوجيههم ودعوتهم وإصلاحهم ونصحهم، فإذا كان ذلك لهذه المصلحة فلا بأس في ذلك، وإلا فإن الأصل أن الإنسان تكون مجالسته ومخالطته ومآكلته مع أناس طيبين، وأما إذا كان يخالط أناسا فيهم سوء، ولا يكترث بذلك فإن ذلك يؤثر عليه، ولكن إذا كان من أجل أن يدعوهم وينبههم ويستميلهم ويذكرهم، ويسعى لإصلاحهم، فهذا مقصد طيب. وقوله: (لا يأكل طعامك إلا تقي) المقصود بذلك أن يدعوه، وأما أن يحسن الإنسان إلى غيره ممن هو بحاجة إلى الإحسان، فإنه يحسن إلى التقي وغير التقي، لاسيما إذا كان هذا الإحسان يؤثر في غير التقي" [1] .

والمراد : " (لَا تُصَاحِبْ إلا مؤمنا)، أَيْ: كَامِلًا أَوِ الْمُرَادُ النَّهْيُ عَنْ مُصَاحَبَةِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ لِأَنَّ مُصَاحَبَتَهُمْ مُضِرَّةٌ فِي الدِّينِ فَالْمُرَادُ بِالْمُؤْمِنِ جِنْسُ الْمُؤْمِنِينَ (وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ) أَيْ مُتَوَرِّعٌ، وَالْأَكْلُ وَإِنْ نُسِبَ إِلَى التَّقِيِّ فَفِي الْحَقِيقَةِ مُسْنَدٌ إِلَى صَاحِبِ الطَّعَامِ فَالْمَعْنَى لَا تُطْعِمْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: إِنَّمَا جَاءَ هَذَا فِي طَعَامِ الدَّعْوَةِ دُونَ طَعَامِ الْحَاجَةِ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَالَ: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا ويتيما وأسيرا)، وَمَعْلُومٌ أَنَّ أُسَرَاءهُمْ كَانُوا كُفَّارًا غَيْرَ مُؤْمِنِينَ وَلَا أَتْقِيَاءَ وَإِنَّمَا حَذَّرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ صُحْبَةِ مَنْ لَيْسَ بِتَقِيٍّ وَزَجَرَ عَنْ مُخَالَطَتِهِ وَمُؤَاكَلَتِهِ فَإِنَّ الْمُطَاعَمَةَ تُوقِعُ الْأُلْفَةَ وَالْمَوَدَّةَ فِي الْقُلُوبِ " [2] .

---

١ شرح سنن أبي داود : ٦٣/٥٤٨.

٢ عون المعبود : ١٢٣/١٣ .

" فإذا الجليس الصالح كله خير، إما أن يعظك موعظة تنتفع بها، وإما أن تطلب منه موعظة فيعظك بها، وإن لم يكن هذا ولا هذا، ستسمع منه لغيرك كلاما طيبا تستفيد أنت منه وهذا هو الجليس الصالح. ومثل جليس السوء كنافخ الكير، حداد يحرق بالنار أشياء، والرائحة الكريهة تخرج من عنده، فإما أن تتأذى بهذه الرائحة المنتنة، وإما أن يصيبك من شرر النار ما يحرق عليك ثيابك، فلا تنتفع بشيء من ذلك. وجليس السوء تنصحه فلا يقبل منك النصيحة، ومن ثم يبدأ يوجه إليك أنت من سيئاته، فإما أن يؤذيك بكلامه، بأن يوقعك في غيبة وفي نميمة وفي بتهان وفي كلام قبيح تستحق عليه العقوبة عند الله عز وجل يوم القيامة، وإما أن يؤذي غيرك فتسمع منه ألفاظا نابية وكلاما قبيحا، وشيئا لا تقدر أن ترد عليه فيه، فكله شر! " [١] .

" ولذلك فالإنسان المؤمن يصاحب المؤمنين، ويرجو الخير من وراء ذلك، ويحذر الإنسان المؤمن من السخرية من أحد من المسلمين، فلعله يسخر من إنسان وهو أفضل منه، وكان الأولى بدلا من أن يسخر منه، أن يطلب منه أن يدعو له " [٢] .

" فمجالسة الأشرار فيها مضرة على من يجالسهم، ولهذا فإن الابتعاد عنهم والحذر منهم فيه سلامة، والاتصال بهم إذا حصل لدعوة أو توجيه وإرشاد فهذا أمرٌ مقصود حسن، وشيء طيب، ولكن مجالستهم والاحتكاك بهم واستماع كلامهم، قد يجعل الإنسان

١ شرح رياض الصالحين (حطيبة) : ٧/١٩ .

٢ شرح رياض الصالحين : ٢٠/ ٢ .

يُبتلى بأن يصيبه ما أصابهم من البلاء فينتقل إليه منهم، ولهذا كان في البعد عنهم السلامة "[1] .

قلت : أين المدمن للمخدرات الهالك نفسه، وماله من هذا التوجيه النبوي السديد، الذي يقطع الطريق على قرناء السوء، بإرشاده للشاب المسلم أن يختار صديقه الذي تفوح منه رائحة الطاعة، ولا يتكلم إلا بالخير، ولا يسير إلا في ظلال هدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولا يفعل إلا المأمورات، ولا يمشي إلا في طرق الخيرات، ولا يقترب من المنهيات، وقد لخص النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أمره بأنه هو الجليس صالح، أي: في نفسه، المصلح بصحبته لغيره، وهو الذي ينبغي التمسك به، والتعلم منه، والمشي معه، ومثامرته، ومشاورته، والتخلق بأخلاقه، ومرافقته بالأمور كلها، وأما الآخر : فهو جليس السوء المجافي لخيرات، المخالط للمنكرات، المرتكب المحظورات، والبعيد كل البعد عن المأمورات ، فإذا تكلم فاحت رائحة الخبائث من فمه، وإذا مشى اتبع سبل الشياطين، وسلك مسالك الغاوين، فهو لا يعرف إلا الخبائث، وأهلها، وأماكنها، وكيفية الإغواء بها، والإرشاد إليها، فكره مسموم، وعمله مذموم، وجزاؤه معلوم.

---

١ شرح سنن أبي داود للعباد : ١٢/٥٣١ .

القاعدة الثالث

الدين يحرم ما كان ضرره كاملا أو راجحا

قال تعالى ممتنا على عباده : (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الأعراف:١٥٧] .

و" عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن، فسأله عن أشربة تصنع بها، فقال: «وما هي؟» قال: البتع والمزر، فقلت لأبي بردة: ما البتع؟ قال: نبيذ العسل، والمزر: نبيذ الشعير، فقال: «كل مسكر حرام» [١] .

" (والخمر) الذي حرمه الشارع هو (ما خامر العقل) أي ستره وكل ما يستره حرم تناوله لما يلزم عليه من فساد العبادة المطلوبة من العبد " [٢] .

---

١ صحيح متفق عليه : أخرجه البخاري ، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ رضي الله تعالى عنهما غلى اليمن ، برقم (٤٣٤٣) : ١٦١/٥. ومسلم ، كتاب الأشربة ، باب بيان أن كل مسكر خمر..، برقم (١٧٣٣) : ٣ / ١٥٨٦.

٢ شرح القسطلاني (٥٥٨٩) : ٣١٧/٨.

وكان عقابه : أنه " (لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ) . قَالَ الْخَطَّابِيُّ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ؛ لِأَنَّ شَرَابَ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَمْرٌ إِلَّا أَنَّهُ لَا غَوْلٌ فِيهَا وَلَا نَزْفٌ انْتَهَى. وَقَالَ النَّوَوِيُّ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ يُحْرَمُ شُرْبَهَا فِي الْجَنَّةِ وَإِنْ دَخَلَهَا فَإِنَّهَا مِنْ فَاخِرِ شَرَابِ الْجَنَّةِ فَيُمْنَعُهَا هَذَا الْعَاصِي بِشُرْبِهَا فِي الدُّنْيَا " [1] .

ويستفاد منه : " أن تحريم تناول جميع المسكرات أيا كانت من عصير العنب وغيره. وان المفتي يجيب السائل بزيادة عما سئل عنه إذا علم المصلحة في الزيادة. وأن علة التحريم الإسكار فمقتضاه أن كل مسكر حرام. وأن الأسماء لا تغير الحقائق. فالنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم " يخبرنا ويرشدنا بأن كل ما يصنع للشرب وهو مسكر فهو حرام شربه قليله وكثيره، حرام استعماله حرام بيعه وتعاطيه من أي نوع كان وبأي اسم سمي، أعاذنا الله من ذلك، وأن من ولي على منطقة من مناطق البلاد عليه أن يسأل عن ما يخفي عليه من شؤون أهلها، وما يصنع في تلك البلاد من المنتجات ليكون على بصيرة من الحكم فيها ليجتنب الخطأ ويعمل بالصواب " [2] .

وبعد، فقد أرسى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قاعدة نفي الضرر، والضرار، وأرشد إلى تحريم كل ما يذهب العقل، قليله، وكثيره، فكل ما يغيب العقل أرشد إلى التخلي عنه؛ لأنه من الخبائث التي تحمل المسلم أوزارا، منها : صرف المال في غير

---

١ عون المعبود : ١٠ / ٨٦ .

٢ الأحاديث الأربعين النووية مع ما زاد عليها ابن رجب وعليها الشرح الموجز المفيد : ٨٦ وما بعدها بتصرف يسير .

وجهه. وتغيب العقل عن مهمته. وإبعاد المسلم عن تعاليم دينه وعبادته، ولكثرة الضرر في الخمر أطلق عليها أمَّ الخبائث، فهي حارقة للمال، حالقة للدين، آخذة بعنان صاحبها إلى مزالق الشياطين، وكل ما جرى مجراها في تضييع المال، وإذهاب العقل مما يؤثر تأثيرها، بل ويزيد كثيرا عنها من المخدرات بأنواعها فهو بالتحريم أولى .

ومعلوم أن كل مسلم مطالب بحفظ كليات خمس، هي : دينه، ونفسه، وعقله، وماله، وعرضه، وحفظها كلها أرشدت إليه هذه القواعد التي نبهنا عليها في هذا البحث، وغيرها من قواعد الإسلام العامة،

أما الخمور والمخدرات بأنواعها القديمة، والمستحدثة ، فهي كفيلة بتضييع مدمنيها، دينا، ونفسا، وعقلا، ومالا، وعرضا ، فيصبح بل ويضحى ويمسي بعيدا كل البعد عن دينه خاسرا لكلياته، مضيعا لمهماته، وواجباته، ومستحباته، غارقا في شهواته، وملذاته. فهلا التفت إلى القواعد، وشمر عن السواعد، والتفت إلى الشواهد ، وقال للناس : كنت ضائعا، كنت هالكا، وها أنا ذا إلى ديني، وعقلي، ونفسي عائد. أسأل الله تعالى أن يتوب على كل مسلم عاص، وأن يجعله بفضل هذه القواعد إلى دينه عائد، وأن يجعله في مراقي الهدى، والإسلام صاعد، وصل اللهم على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

الخاتمة

وفيها :

١ - أهم النتائج .

٢ - ثبت المصادر، والمراجع.

أهم النتائج

الحمد لله الملك السلام، المهيمن العلام، ذي الجلال والإكرام، والصلاة والسلام على خير الأنام، وآله وصحبة الأئمة الأعلام، ومن تبعهم، وسار على نهجهم بإحسان.

أما بعد ،،،،

فقد استعرضت في هذا البحث أهم القواعد النبوية في معالجة مشكلة الإدمان عند الشباب، وهي بمثابة العلاج الناجع لمن أراد أن يعود بنفسه إلى هدي الإسلام، مسترشدا بسنة خير الأنام صلى الله تعالى عليه وآله وسلم .

ويمكن إجمال نتائج هذا البحث في النقاط التالية :

١ – أن السنة النبوية قد أولت الشباب العناية التامة، والرعاية الفائقة: توجيها، وتعليما، وضمانا للاستقامة.

٢ – أن هداية الله تعالى هي أهم قواعد الوقاية من التردي في مهاوي المخدرات، والإدمان. فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين.

٣ – أن الإيمان بالقدر يوجب العمل، وترك الاتكاء على المكتوب، فإن التوكل عمل للقلوب، ولا بد من مقارنتها بعمل الجوارح.

٤ – أن النية الصادقة، والإرادة القوية أساس التغير، وطريق التقدم، والرقي .

٥ – أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر، والنجاح فيه هو الهدف الأسمى.

٦ – أن ترك الإدمان في مكنة العباد، وتحت استطاعتهم.

٧ – أن الصحبة الصالحة خير سبيل للوقاية، والصحبة الطالحة أقرب طريق إلى الضياع.

٨ – الحث على مجالسة الأخيار، والاستفادة منهم، وتجنب الأشرار، وترك التعامل معهم.

٩ – أن الإسلام لم يحرم إلا ما كان ضرره آكد، وخطره محقق.

فهرس المصادر والمراجع [١]

القرآن الكريم .

١) الأحاديث الأربعين النووية مع ما زاد عليها ابن رجب وعليها الشرح الموجز المفيد المؤلف: عبد الله بن صالح المحسن – الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

٢) الأدب النبوي – المؤلف: محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخَوْلي (المتوفى: ١٣٤٩هـ) – ، الناشر: دار المعرفة – بيروت ، الطبعة: الرابع، ١٤٢٣ هـ .

٣) إرشاد الساري : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري – المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) – ، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ .

٤) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار – المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) – ، المحقق: عبد الكريم بن رسمي آل الدريني ، دار النشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م .

١ وهي مرتبة ترتيب ألفبائي بعد تقديم القرآن الكريم .

٥) تحفة الأحوذي تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي – المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ) – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .
٦) تفسير ابن كثير= تفسير القرآن العظيم – المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) – ، المحقق: سامي بن محمد سلامة ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.
٧) تفسير الشعراوي = الخواطر – المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) – ، الناشر: مطابع أخبار اليوم .
٨) التنوير شرح الجامع الصحيح التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ – المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ) – ، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم ، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م .
٩) التوضيح لشرح الجامع الصحيح – المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ) – ، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث ، الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .
١٠) التيسير بشرح الجامع الصغير التيسير بشرح الجامع الصغير – المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج

العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) – ، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

١١) جامع العلوم والحكم (الأرنؤوط) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم – المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) – ، المحقق: شعيب الأرنؤوط – إبراهيم باجس ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

١٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين – المؤلف: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ) – ، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا ، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

١٣) سنن ابن ماجة المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) – ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي .

١٤) سنن الترمذي – المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) – ، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ– ١٩٧٥ م.

١٥) سنن النسائي المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي – المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) – ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ– ١٩٨٦م .

١٦) شرح ابن بطال – المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) – ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م .

١٧) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية – المؤلف: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: ٧٠٢هـ) – ، الناشر: مؤسسة الريان ، الطبعة: السادسة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

١٨) شرح الزرقاني على الموطأ – المؤلف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري – ، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد ، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

١٩) شرح النووي = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) – ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢

٢٠) شرح رياض الصالحين – المؤلف: الشيخ الطبيب أحمد حطيبة بحسب الموسوعة الشاملة .

٢١) شرح رياض الصالحين المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) – ، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض ، الطبعة: ١٤٢٦ هـ.

٢٢) شرح سنن أبي داود للعباد المؤلف: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر بحسب الموسوعة الشاملة .

٢٣) شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِمِ – المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ) – ، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل ، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

٢٤) صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري- المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي - ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

٢٥) صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ - المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) - ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٦) عمدة القاري عمدة القاري شرح صحيح البخاري – المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) - ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٧) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته – المؤلف: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ) - ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ .

٢٨) فتح الباري فتح الباري شرح صحيح البخاري – المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي – ، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب ، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز .

٢٩) فيض القدير فيض القدير شرح الجامع الصغير – المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) – ، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر ، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦م .

٣٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل – المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) – ، المحقق: أحمد محمد شاكر ، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م .

٣١) مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه – المؤلف: محمد بن علي بن آدم بن موسى – ، الناشر: دار المغني، الرياض – المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.

٣٢) المعجم الكبير للطبراني – المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) –، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية .